﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ٦﴾ [يس: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإنـذارُ الّـذي يـترتّـب عليه العقابُ لا يكون إلّا بالإرسالِ

في الآية الكريمةِ تقريرٌ لمضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فإنَّ الإنذارَ الّذي يترتّبُ عليه العقابُ لا يكونُ إلّا بالإرسالِ، وتبليغِ الدَّعوة.

إكـمـالُ عـقـدِ الـرّسـالـة بـذِكْـرِ الـمـقـصـوديـنَ بالإنذارِ والدّلالة

لمّا ذَكرَ المُرسَلَ وهو رسولُ الله ﷺ، والمُرسَل به وهو القرآنُ الحكيم، والمُرسِل وهو العزيز الرّحيم؛ ذَكَرَ المُرسَلَ لهم؛ فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾[1]، كما ذَكَرَ مضمونَ الرّسالة وهي الصّراط المُستقيم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غَٰفِلُونَ﴾: أصلُ (غفل) يدورُ على تَرْكِ الشَّيءِ سَهْوًا لقلَّة التّحفّظ أو التيقُّظ، يُقال: غَفَلَ الرَّجلُ عَن الشَّيْء يغفُل غُفولًا فَهوَ غافل، ورجلٌ مُغفَّل: لا فطنةَ لَهُ، وغفَّلتُ الشَّيءَ تغفيلًا، إذا كتمتَهُ وسترتَه، والغَفْلَةُ: غَيْبَةُ الشَّيْءِ عن بالِ الإنسانِ وعَدَمُ تَذَكُّرِهِ لَهُ، وتُطْلَقُ الغفلةُ على مَن تَرَكَ الشَّيْءَ إهْمالًا وإعْراضًا، والتَّغافُلُ: تَعَمُّدُ الغَفْلَةِ، وتأْتي بِمعنى: عَدَمُ الفِطْنَةِ وقِلَّةُ التَّجْرِبَةِ، ورَجُلٌ غُفْلٌ؛ أيْ: لم يُجَرِّبِ الأُمورَ[2]، والمُراد بالغافل في الآية: الَّذي لا يفطَنُ للأمور إهمالًا منهُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رسـالـةُ الـنَّـبـيِّ الـمُـنـذِرِ ﷺ إلى كافَّةِ مَنْ لم يكُنْ ذُكِّر

بيَّنَ سبحانه الحكمةَ من إرساله نبيَّه ﷺ فقال: إنّا أرسلناك يا مُحمَّد بهذه الرِّسالة؛ لتُنذرَ قومًا، وهم العربُ الَّذين لم يسبقْ لهم أوْ لآبائهم أنْ جاءهم نذيرٌ مِنّا، يُحذِّرهم مِن سوءِ عاقبةِ الإشراك

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 94.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (غفل).

باللّه تعالى، فَهُم لذلك غافلونَ عمّا يجبُ عليهم نحوَ خالقِهم من إخلاصِ العبادةِ له، وطاعتِهِ في السِّرِّ والعَلَنِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائدة اللّام في: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾:

غايةُ الإرسالِ بالقرآنِ إنذارُ النّاسِ بأبلغِ بَيانٍ

لامُ التّعليل في ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يَجوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بـ﴿تَنزِيلَ﴾، ويُقوّيه أنَّ التَّنزيلَ أُضيف إلى العزيزِ الرَّحيم، والإنذارُ لا يخلو من عزّةٍ ورحمةٍ، أَوْ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، بتقدير: إنَّك مُرسَلٌ لِتُنذِرَ؛ أيْ: أُرسِلْتَ لتُنذرَ قومًا[2]، ويحتملُ أنْ تكونَ (اللّامُ) مُتعلِّقةً بـ﴿تَنزِيلَ﴾ وبالفعلِ المُضمَر معًا، ولا مانعَ منه بأنْ يكونَ على التَّنازع؛ ليُفيدَ خَصوصيَّةَ إنذارِ رسولِ اللّهِ ﷺ من سائرِ الرُّسُل المُنذِرينَ وكمالَه، ولمّا كانتِ (اللّام) للتّعليل أفادَتْ أنَّ سببَ إرسالِك وسببَ تنزيلِ العزيزِ الرّحيم للقرآنِ هو إنذارُ القوم؛ بمعنى: أرسلناك ونُزِّلَ القرآن تنزيلَ العزيزِ الرّحيم لتنذرَ به القوم، ففيه تعظيمٌ لشأنِ إنذار رسول اللّه ﷺ وتفخيمٌ له وبيانٌ لكمالِه، وأفادتْ (لام التّعليل) أيضًا الإيماءَ إلى أنَّ من مهامِّ المُرسَلين وواجباتِهم إنذارَ النّاس وبيانَ عقوبةِ عدمِ الإيمانِ باللّه تعالى وتوحيدِه، وأنَّ ما قامَ به رسولُ اللّه ﷺ من إنذارِ القوم هو عينُ ما قامَ به المرسَلون.

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ الإنذارِ والاقتصارِ عليه:

حثُّ القرآنِ على المبادرةِ إلى الاستعدادِ، والتّنبّهِ لِما يُنذَرُ منه العِبادُ

عبّرَ القرآن الكريم بالإنذارِ ليُفيد الإبلاغَ والإخبارَ الَّذي يتضمّن خبرًا فيه تخويفٌ وتحذيرٌ من مكروهٍ يقعُ إنْ لم يبادرِ المُنذَر إلى اجتنابِ ما هو فيه، وفي التّعبير بالإنذار إيماءٌ إلى المُبادرة إلى

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 563، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 12/ 13.
(2) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 9/ 6002، والعكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 2/ 1078، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 159.

الاستعدادِ والتّنبُّهِ لِما يُنذَرُ منه، ولمّا كان الإنذارُ مُتعلِّقًا بتنزيلِ القرآن أوْ بإرسالِ رسولِ الله ﷺ أوْ بهما معًا؛ أفادَ اشتمالَ القرآن والرّسالةِ على معاني التّخويفِ والتّحذير[1]، كما أنَّ الإنذارَ من شيءٍ مَخوفٍ يَستلزمُ البُشرى بشيءٍ حسَنٍ إنْ تمَّتِ الإجابةُ والقبول، ويدلُّ عليه وصفُ الرّحيم كما دلَّ على الإنذارِ وصفُ العزيز.

ابتداءُ النّاسِ بالإنذارِ؛ لِلإسراعِ في الإقلاعِ عن الشّركِ الضّارّ

الغالبُ في الاستعمالِ القرآنيِّ اقترانُ الإنذارِ بالبشارة، لكنَّه في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ اقتصرَ على الإنذار؛ لِأَنَّ أَوَّلَ ما ابْتُدِئَ بِهِ القَوْمُ مِنَ التَّبْليغِ إنْذارُهُمْ جَميعًا بِما تَضَمَّنَتْهُ أَوَّلُ سورَةٍ نَزَلَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: 6 - 7] الآيَةَ، وما تَضَمَّنَتْهُ سورَةُ المُدَّثِّرِ؛ لِأَنَّ القَوْمَ جَميعًا كانوا عَلَى حالَةٍ لا تُرْضي اللّهَ تَعالَى فَكانَ حالُهُمْ يَقْتَضي الإنْذارَ؛ لينتبهوا وليُسْرِعوا إلَى الإقْلاعِ عَمّا هُمْ فيهِ من الشّرك، الذي هو أصلُ الشّرِّ[2].

بالإنذارِ يسهلُ فعلُ الطّاعات والتّعرّفُ على الشّريعةِ والآدابِ

لمّا كان رسولُ الله ﷺ مُبشّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، ومعرّفًا بشريعةِ الله التّامَّة الكاملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: 45 - 46]؛ كان الاقتصارُ هنا على الإنذار - ليكونَ مُسبَّبًا عن الإرسال أوْ عن تنزيل القرآن، أوْ عنهما جميعًا - على سبيل ذِكْرِ المقصودِ الأعظم من الإرسال أوْ من التّنزيل، فإنَّ الإنذارَ يَقتضي أنْ يُقابلَه البشارةُ لمَن يَمتثلُ، كما أنَّه بالإنذارِ يَسهُلُ فعلُ الطّاعات، والتّعرّفُ على الشّريعة والآداب ومكارمِ الأخلاق، كما أنَّه لمّا كان الخطابُ للمشركينَ المُكذِّبين؛ ناسبَ الاقتصارُ على الإنذار؛ ليفيدَ أنَّه لا ينفعُ معَهم البشارةُ لانغماسِهم في الغفلةِ، فالغافلونَ لا ينفعُ معَهم سِوى الإنذار، ليتيقّظوا ويَحترزوا عن الخطأِ والغلَطِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفرَدات: (نذر)، وأبو حيّان، تحفة الأريب، ص: 295، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 386.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 348.

فائدةُ الإسنادِ إلى المُخاطَبِ:

إنـذارُ الـرّسـولِ الأمـيـنِ مـخـصـوصٌ بـشـريـعـتِـه، وليس نقلًا عن الرُّسلِ السّابقين

جاءَ إسنادُ الفعل (تُنذر) في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ على ما جرى عليه الكلامُ في مُخاطبةِ رسولِ الله ﷺ؛ ليفيدَ أنَّ رسالته ﷺ مُلتبسةٌ بمباشرةِ الإنذار، وليس النّقلَ عن الرُّسُل السّابقين، أوْ ما يصلُ إلى الأسماع من دعوةِ التّوحيد، ففيه تخصيصٌ للرّسالة وللمُرسَل ﷺ، ويفيدُ أيضًا أنَّ النّذارةَ من أوصافِ المُرسَلين، وفيه تصريحٌ بأنَّ النّذارة تكليفٌ كما أنَّها تشريفٌ، بما يدلُّ عليهِ سياقُ الخطاب، وعبَّر عن الإنذارِ بالفعلِ المضارع؛ للدّلالة على استمراريّةِ الإنذارِ، ولا يبعدُ أن يكونَ المُرادُ بالضَّميرِ عمومَ المُخاطبينَ عمومًا شموليًّا؛ ليعمَّ النبيَّ ﷺ ومَن سار على منهجِهِ في الإنذارِ والدَّعوة.

فائدة التّعبير بلفظ ﴿قَوْمًا﴾ وتنكيره:

القـوّة لا تُغني مَـن لـم يَعْـتبِرْ بإنـذار الـرّسـول النّاصِح الأبرِّ

أفادَ التّعبيرُ بلفظ ﴿قَوْمًا﴾ الإشارةَ إلى قوَّةِ القوم المُخاطَبين ومَنَعتِهم واجتماعِهم على ما يقومونَ به، وفيه تنبيهٌ على أنَّ قوَّتَهم لا تُغني عنهم شيئًا إنْ لم يَعتبروا بإنذارِ رسولِ الله ﷺ لهم.

الاسـتـعـطـافُ مـن أسـالـيـبِ الـدّعـوةِ الى الإيمانِ باللّطفِ والحِكمةِ

وذِكرُ القومِ الَّذين كانوا في وقت تنزيلِ القرآن وحدهم في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾؛ لأنَّ الخطابَ كان معهم، وفيه استعطافٌ لهم لعلَّهم يتّعظونَ فيؤمنوا، وهذا لا يمنع أنَّه ﷺ مُرسَلٌ إلى النّاس كافّة، ولا يَنفي مَن عداهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158][1].

خَـصـوصـيَّـة العربِ في تلقّي الدّينِ؛ لكونهم حملةَ الإسلامِ الأوّلين

وجاء لفظ ﴿قَوْمًا﴾ في الآيةِ مُنكَّرًا ليفيدَ تعلّقَ الإنذارِ بكلِّ قومٍ ما أُنذرَ أباؤُهم قبلَ رسولِ الله ﷺ، أوِ انقطعَ الإنذارُ عنهم، ويدخلُ فيه العربُ دخولًا أوّليًّا؛ لأنَّ الخطابَ كان معهم، فهُمُ الَّذينَ أرادَ اللهُ أنْ

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 146.

يَتَلَقَّوُا الدّينَ، وأَنْ تَتَأَصَّلَ مِنْهُمْ جامِعَةُ الإسْلام، ثُمَّ كانوا هُمْ حَمَلَةَ الشَّريعَةِ وأَعْوانَ الرَّسولِ ﷺ في تَبْليغِ دَعْوَتِهِ وتَأْييدِهِ[1].

دلالة ﴿مَّآ﴾ في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾:

تحتملُ ﴿مَّآ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أنْ تكون نافيةً، وهو الظّاهر الّذي رجّحَه علماءُ العربية والتّفسير؛ بمعنى: إنَّك لِمَنَ المُرسَلينَ إلى قومٍ لم يُنذَرْ آباؤهم، والمعنى: لم ينذرْ آباؤُهم فهُم غافلونَ، وعلى هذا التّوجيهِ يكون عدمُ الإنذار سببَ غفلتهم، وتحتملُ ﴿مَّآ﴾ أن تكون اسمًا موصولًا أوْ مصدريّةً، بأنْ يوجَّهَ معنى الكلام إلى أنَّ آباءهم قد كانوا أُنذروا، وتقديرُ الكلام: لتُنذر قومًا بالذي أُنذِرَ آباؤهم، أوِ الّذينَ أُنذرَ آباؤُهم، أوْ لتنذرَ قومًا إنذارَ آبائِهم؛ أيْ: بمثل إنذارِ آبائِهم، كقولك: ضربتُهُ ضَرْبَ الأمير؛ أيْ: مثلَ ضربِ الأميرِ؛ ليفيدَ أنَّ كونَهم غافلين سببٌ باعثٌ على الإنذار، كما تقول: أرسلتُكَ إلى فلانٍ لتُنذرَهُ فإنَّه غافل، أوْ فهو غافلٌ، وليفيدَ هذا التّوجيهُ كذلك أنَّه ﷺ قد جاءَ بما جاءَ به المُرسَلونَ من قبلُ[2].

تـنـوُّعُ المـدلـول لإثـــراءِ المعـنى والمقول

قد يُقالُ: لمّا كانت ﴿مَّآ﴾ في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ تحتملُ وجهيْنِ؛ فعلى القول بأنَّها نافيةٌ يَقتضي أن يكونَ آباؤهم ليسوا مُنذَرين، وعلى القول بأنَّها موصولة أوْ مصدريَّةٌ يقتضي إثباتَ إنذار آبائِهم، فما وجهُ الجمع بينهما؟ وجوابُه: لا تناقضَ في المعنى على الوجهيْن، فعلى القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ معناه: ما أُنذِرَ أباؤُهم الأقربونَ، وهذا لا يُنافي أنْ يكونَ آباؤُهم الأوّلونَ المُتقدّمون مُنذَرين؛ بمعنى: أنَّ المتأخّرين منهم غيرُ مُنذَرين[3]، فالآيةُ دلَّت على نفيِ

دفعُ التّضادِّ بين النّفي والإثبات

(1) القنّوجيّ، فتح البيان: 11/ 271، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 348.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 492، والزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 278، والزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 4، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 253، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 263، والنيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 525، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 159.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 5، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 253.

إنذارِهم كما أنَّ آياتِ القرآن في هذا المعنى لم تدلَّ إلّا على نفي إنذارهم، كقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: 46] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: 44] وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: 42][1].

نذارةُ الخصوص لا تُعارضُ دعوةَ العموم للنّاس جميعًا

وعلى القول إنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ في قولِه: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾، لا بدّ من الإشارةِ الى أنَّ النّذارة المنفيَّة هي نذارةُ المُباشَرةِ مع القوم، والأوامرُ والنّواهي المخصوصةُ، وإلّا فدعوةُ الله تعالى من الأرض لم تنقطعْ قطُّ[2].

في الوصفِ بالجملةِ بيانٌ لشدّةِ الاحتياجِ إلى الإنذارِ

وعلى القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ تكونُ جملة: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ صفةً لـ﴿قَوْمًا﴾ جرَتْ على غير ما هي له؛ لتفيدَ الاحترازَ عن الآباءِ الأبعدينَ، والمعنى: لتنذرَ قومًا ما أُنذِرَ آباؤهم الأقربون[3]، ومن فوائد مجيءِ هذه الصّفةِ بيانُ غايةِ احتياجِهم إلى الإنذارِ، والامتنانُ عليهم بأنَّه ﷺ أُرسل إليهم حين انطمسَتْ آثارُ الوحي، وكانوا أحوجَ ما يكونون إليه، والتَّشويقُ إلى متابعة الرّسول ﷺ، والمبادرةِ إلى الإيمانِ به، والإيماءُ إلى التّنعّم بهذه النّعمة العظيمة، وأفادت كذلك الوعدَ على امتثالِ أمرِ رسولِ الله ﷺ والوعيدَ على مُخالفتِه[4].

مَنْ سلَّم بصدقِ رسالتِهِ إلى العربِ، سلّم بعمومِ الرّسالة لغيرِ العرب

وعلى القولِ بأنَّ ﴿مَّآ﴾ على الإثبات؛ أيْ: بأنْ تُقدَّر موصولةً أو مصدريّةً يكونُ دخولُ اليهود والنّصارى وغيرِ العرب ظاهرًا في حُكم وجوبِ إنذارِهم وإرسالِ رسول الله محمَّدٍ ﷺ إليهم، وفي حُكم وجوبِ إيمانِهم به ﷺ، وعلى القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ، فإنَّ الحكمَ يشمل اليهود والنّصارى وغيرهم كذلك؛ لأنَّ آباءَهم الأدنَيْنَ

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 11.
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 446.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 263، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 93.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 159، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 93.

لم يُنذَروا بعدَما ضلّوا عن طريق الحقِّ، فَهُمْ غافِلونَ لهذا السّبب، ومَنْ سلَّم أنَّه ﷺ رسولٌ إلى العربِ، لزِمَه تصديقُه في دعوى عُموم الرّسالة والدّعوة، فهذا دليلٌ على كونِ الرّسول ﷺ مبعوثًا إلى الخلقِ كافَّةً[1]، ونلحظُ في تخصيصِ دعوة الإنذار بالقومِ الَّذين لم يُنذَرْ آباؤُهم ما يدلُّ على ثقلِ الإنذارِ وصُعوبتِه؛ لأنّ مهمّةَ مَن أُرسِلَ مُعلِّمًا إلى مَن لم يَسبقْ له تعلُّمُ شيءٍ أصعبُ مِن إرسالِه إلى قومٍ قد نالوا حظًّا من العلْم، وإرسالُه إلى مَن لم يتعلّمْ أصلًا لا يَقتضي عدمَ شُمولِ تعليمِهِ لمَنْ نالَ نصيبًا من العِلْم.

بلاغةُ الكناية في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾:

بيانُ أنّ الأبناءَ وآباءَهم في الكفرِ وعدمِ الهدايةِ سيّان

على القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ موصولةٌ أو مصدريَّةٌ في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾؛ أيْ: لتُنذرَ قومًا بالّذي أُنذرَ آباؤهم، أوْ لتُنذرَ قومًا بمثلِ إنذارِ آبائِهم، يكونُ في الكلامِ كنايةٌ عن أنَّه لا ينجعُ في المُكذّبين المُصمّمين على الكفرِ النِّذارةُ، كما لم ينجعْ في آبائِهم الّذينَ أُنذروا من قبلُ، فهم غافلونَ كحالِ آبائِهم، فتنطوي الكنايةُ على ذَمِّهم وذمِّ آبائِهم[2].

إنذارُ الآباءِ كافٍ في إنذارِ الأبناءِ، وهو سارٍ إلى يومِ القيامةِ

وعلى القولِ بأنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يكون في الكلامِ كنايةٌ متتابعةٌ؛ الأولى: بيانُ أنَّ القومَ يَستحقّون الإنذارَ بسببِ عدمِ إنذارِ آبائِهم، وأنَّ إنذارَهم حقٌّ، والثانية أنَّ إنذارَ الآباءِ كافٍ في إنذارِ الأبناءِ، والثالثةُ أنَّ الإنذارَ المذكورَ يَسري إلى يومِ القيامةِ، فيتناولُ كلَّ مَنْ جاء بعدَ القومِ المذكورين، ولا يبعدُ أنْ يكونَ ضميرُ الخطاب في ﴿لِتُنذِرَ﴾ لعمومِ المخاطبين عمومًا شموليًّا، ويتناولُ كلَّ مُنذرٍ سواءٌ كان النّبيَّ ﷺ، أوْ مَن سارَ على منهجِه في الدّعوةِ والإنذارِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 253، والطّوفيّ، الإشارات الإلهيّة، ص: 519، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 525.

(2) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 8/ 504.

فائدةُ حذفِ المفعول الثّاني:

المُـنـذَرُ بـه من الـعـذابِ واحـدٌ وإنْ تـعـدّدتِ الأحـوالُ والمَشاهِد

على القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ - وهو الظّاهر من السّياق كما تقدَّم - يكونُ المفعولُ الثّاني في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ محذوفًا؛ بمعنى: لتنذر قومًا عذابًا[1]، والحذفُ هنا أبلغُ في النّظم والمعنى، لطولِ الكلامِ بالصّفة: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾، فلو قيل: لتُنذِرَ قومًا ما أُنذِرَ آباؤهم عذابًا، طالَ الفصلُ بين الفعلِ ومفعولِه الثّاني وضَعُفَ تأليفُ الكلامِ، ولأنّ المعنى على عمومِ الإنذار، ليدخلَ كلُّ ما هو مكروهٌ عند القومِ، كما أنَّ لفظ (الإنذار) يقتضي التّخويف، فيدخل الإنذارُ بالعذابِ دخولًا أوّليًّا، وعلى القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ موصولةٌ أوْ مصدريَّةٌ، يكونُ الموصولُ أوِ المصدرُ المؤوّلُ نائبًا عن المفعولِ المُطلَق، بتقدير: إنذارًا مثلَ ما أُنذر آباؤُهم، ولا حذف حينئذٍ، ليفيدَ أنَّ المُنذَرَ به واحدٌ - هو عذاب اللّه تعالى - وإن تعدّدتِ الأزمانُ والأمكنةُ.

براعةُ الطِّباق في السّياقِ:

نـعـمـةُ الـلـهِ الـكبرى بوجودِ رسـولِ الـلـه بينَهم ليكونَ المُنْذِرَ لهم

في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ طباقُ السّلبِ بين ﴿لِتُنذِرَ﴾ و﴿مَّآ أُنذِرَ﴾ على القول إنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ، وفائدةُ الطّباقِ - بملاحظة متعلِّق كلٍّ من الفعلَيْن - هي الامتنانُ عليهم بالنّعمةِ الكبرى، وهي وجودُ رسولِ اللّه ﷺ بينهم؛ ليكون هو المنذرَ لهم، وذلك بطريقِ المُقايسةِ بين حالِهم وحالِ آبائهم الذين لم يُنذَروا أصلًا، فيتيقّنوا أنَّ الإنذارَ وإنِ اشتملَ على التّخويف، لكنَّه نعمةٌ عظيمةٌ لتذكيرِهم، ليفيدَ هذا النّوعُ البديعيُّ حثَّهم على الإيمانِ باللّهِ وبالرّسولِ ﷺ .

فائدةُ الفاء في قولِه: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾:

نـعـمـةُ الإنـذار تثمرُ الاستبصار، وتبعثُ على العِظَةِ والتّذكار

(الفاء) في قولِه: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ تفيدُ ربطَ هذه الجملةِ بما قبلَها على معنى التّرتيب والتّعقيب؛ أي: لم يُنذَروا فهم غافلون؛ بمعنى أنَّ غفلتَهم هم وآبائِهم مُترتّبةٌ على عدمِ إنذارِهم، ليفيدَ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 386.

أنَّ الإنذار ينقلُ القومَ من الغفلة إلى اليقظة والتّنبُّه والحذَر، كما يفيدُ أنَّ غفلتَهم هي السّببُ في ضلالِهم وعدمِ كونِهم على الصِّراطِ المستقيم.

دلالة الضّمير في قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾:

الوصفُ بالغفلة يَسري على السّابق واللّاحق

لمّا عاد الضّمير في قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ على ﴿قَوْمًا﴾ بما اتّصف به؛ أفاد أنَّ المعنى: فالقومُ الّذين لم يُنذَر آباؤهم غافلونَ، ويدخل في الضّمير الآباءُ كذلك؛ لأنَّهم كانوا غافلينَ بسبب عدمِ إنذارهم، لانتفاءِ إنذار آبائِهم، والمعنى: فهم جميعًا لأجلِ عدمِ إنذارِهم غافلون عن الحقيقة، وعلى القولِ بأنَّ ﴿مَّآ﴾ موصولةٌ أو مصدريَّةٌ يعودُ الضّميرُ على القومِ خاصَّة بمعنى: فهم غافلونَ عمّا أُنذِرَ آباؤُهم[1] والذي يترجَّحُ لدينا أنَّ بيانَ إنذارِ الرَّسولِ ﷺ لقومه الّذين لم يُنذَر آباؤهم فيه امتنانٌ عليهم، وأنَّ اللائقَ بهم المسارعةُ إلى التّصديقِ؛ لأنَّهم خُصّوا بهذه النِّعمة، لكنَّهم غفَلوا عنها واعتقدوا أنَّ إنذارهم بلا سبقِ إنذارِ آبائهم مدعاةٌ للتَّكذيب بالدَّعوة لكونها بدعةً.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾:

الإنذارُ نعمةٌ على المُنذَرين؛ لأنَّه وسيلةٌ للتّنبّهِ والحذرِ

على القول بأنَّ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ كما هو الظّاهر في الكلام، يكونُ في قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ، وبيانُها أنَّه لمّا كانتِ الغفلة مُرتّبةً على عدمِ الإنذارِ، أفادَ الكلامُ بلازمِه أنَّ الإنذارَ نعمةٌ ومِنَّةٌ على القومِ المُنذَرين؛ لأنَّه يَنقلُهم من الاتِّصاف بالغفلة إلى الاتِّصاف بضدِّها، كما أفاد الكلامُ أنَّ الغفلةَ مذمومةٌ وأنَّها سبيلٌ إلى الضّلالِ، وأنَّ التّنبُّه ممدوحٌ وأنَّه سبيلٌ إلى الهدى.

الغفلةُ ذهولٌ عن الشّيءِ، ولازمُه الإهمالُ والإعراضُ

أو أنَّه لمّا كانتِ الغَفْلَةُ بمعنى الذُّهولِ عَنْ شَيْءٍ وعَدَمِ تَذَكُّرِهِ، وكان المُرادُ بدلالة السّياق إعراضَهم عن الأمورِ المُهمّةِ كالتّفكيرِ في الخَلْق

(1) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 23333، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 159.

للتوصُّلِ إلى الخالِق، أفادَ الكلامُ على سبيلِ الكناية الانتقالَ إلى لازمِ الذّهول، وهو هنا الإهمالُ والإعراضُ عَمّا ينبغي التّنبُّه عليه[1].

مناسبةُ حذفِ مُتعلّق المُشتقّ:

الَّذين لم يُنذَروا أوْ لم يَنتفعوا بالإنذارِ غافلونَ عن تدبُّرِ الحقِّ وأدلّتِه

لمّا كان الخبرُ في قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ يقتضي متعلِّقًا لكونه اسمًا مشتقًّا، أفادَ حذفُ المتعلِّق إثباتَ وصفِ الغفلة لهم؛ بمعنى أنَّ الَّذين لم يُنذَروا أو مَن لم يَنتفعوا بالإنذار تكونُ الغفلةُ وصفًا ثابتًا لازمًا لهم[2]؛ بمعنى تحقيقِ وصفِ الغفلة لمَن لم يُنذَر وأنَّه ثابتٌ له، وقد يكونُ حذفُ المتعلِّق لإفادة العموم؛ بمعنى أنَّ الَّذين لم ينذَروا أوِ الَّذين لم يَنتفعوا بالإنذار غافلون عمّا أنذرْنا به آباءَهم، وعن اللّه تعالى وعن معرفتِه والإيمانِ به، وغافلون عن عذابِ اللّه وعمّا هو فاعلٌ بأعدائِه المشركينَ به، وهم غافلونَ عن التدبُّرِ وعن التَّأمّلِ في ذلك، والتّفكّر في الحُججِ والأدلَّةِ، وهم غافلونَ عن الحقِّ وعن الإيمانِ برسولِ اللّه ﷺ، وهم غافلونَ عن شريعتِه، وهم غافلون عمّا أُعدَّ لهم من العقاب، فكانَ في حذفِ المتعلِّق غناءٌ عن ذِكْرِ كلِّ هذه المعاني بما يدلُّ عليه السّياقُ[3].

دلالةُ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّة:

مَـن لـم ينتفعْ بـالإنـذارِ فهو في الغفلةِ كمَن لم يُنذَرْ ولم يُذكَّر

أفادَ التّعبيرُ بالجملة الاسميَّة: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أنَّ مَن لم يُنذَر ثابتٌ في الغفلةِ باقٍ ومُستمرٌّ عليها، ومثلُه مَن لم ينتفع بالإنذار، والَّذي يترجّحُ لدينا أنَّ ﴿غَٰفِلُونَ﴾ في الآية وإنْ كانَ مصوغًا على وزن (فاعل) إلّا أنّه بمعنى الصِّفة المُشبَّهة الدّالَّةِ على دوامِ الوصفِ وثبوتِهِ فيهم على سبيل اللُّزوم والبقاء، فقد كان ذهولُهم عن الأمورِ المصيريَّةِ عرَضًا لازمًا لهم وثابتًا فيهم.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 348.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 348.
(3) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التَّفسير: 12/ 336، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 413.

بلاغةُ الكناية في الآية:

أفادتِ الآية بطريق اللّازم أنَّ كلَّ أمّةٍ انقطعَ عنها الإنذارُ وتُرِكَ فيها التَّذكيرُ واقعةٌ في الغفلةِ لا محالةَ، ولمّا كان تركُ الإنذارِ والتَّذكيرِ موقِعًا في الغفلة، فالإنذارُ والتّذكير يُزيلانها[1].

انقطاعُ الإنذار غفلةٌ وجهالة، والتّذكيرُ يقظةٌ لا محالةَ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغفلة والنّسيان والسّهو:

الفرقُ بين الغفلة والنّسيان هو أنَّ الغَفْلَة هي ذهابُ المعنى عن النَّفس، والنِّسيانَ هو ذهابُ المعنى عن النَّفس بعد حضورِهِ؛ فالغفلة أعمُّ، أوْ أنَّ الغفلة: هي عبارةٌ عن عدم التّفطُّن للشّيءِ وعدمِ عقليّته بالفعل، سواءٌ بقيت صورةُ المعنى في العقل أوِ انمَحَتْ، والنّسيانُ أخصُّ من الغفلة؛ لأنَّه عبارةٌ عن الغفلةِ عن الشّيءِ معَ انمحاءِ صورتِه أوْ معناه عن الخيالِ أوِ الذِّكْر بالكليَّة، ولذلك يحتاجُ النّاسي إلى تجشُّمِ كسبٍ جديدٍ وكُلفةٍ في تحصيله ثانيًا، والغفلةُ أعمُّ على هذا الفرق كذلك[2].

وُصِفَ المُشركون بالغفلة عن أدلَّة الإيـمـانِ، ولـم يوصَفوا بالسّهْوِ عنها

والفرقُ بين الغفلة والسّهو هو أنَّ الغفلةَ تكون عمّا يقعُ ويكونُ، والسّهوَ يكون عمّا لا يقعُ ولا يكونُ، تقول: غفلتُ عن هذا الشيءِ حتى كان، ولا تقولُ: سهوتُ عنه حتى كانَ؛ لأنَّك إذا سهوتَ عنه لم يكُن أصلًا، ويجوز أنْ تغفلَ عنه ويكون، وفرقٌ آخر بينهما هو أنَّ الغفلةَ تكون عن فعلِ غير الغافل، تقول: كنتُ غافلًا عمّا كانَ من فلانٍ أو عمّا قدَّمه لي فلانٌ، ولهذا وُصِفَ المشركون بالغفلةِ عمّا قدّمَه لهم الرّسل من الأدلَّة والحُجَج على الإيمان، ولا يجوز أنْ يُسهى عن فعلِ غيره، لأنَّ السّهوَ لا يَتعلَّق بفعلِ غيرِ السّاهي أصلًا[3].

---

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 298.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 98، والكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 23333، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 368.

(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 98.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»